(١١) خطبة له ﷺ
فى التوبة والعمل

قال أبو الدرداء: خطبنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يوم الجمعة، فقال:

« تُوبوا إلى الله قَبْلَ أن تَموتوا، وبادِروا بالأعمالِ الصَّالحةِ قبلَ أنْ تُشْغَلوا، وصِلُوا الذى بينكم وبينَ رَبِّكم تُسْعَدوا، وأكثِروا الصَّدقةَ تُرْزَقوا، وأمُروا بالمعروفِ تُخْصَبوا، وانْهَوا عن المُنكر تُنصَروا.

أيُّها الناس ..إنَّ أكْيَسَكُم[1] أكثرُكم ذِكْراً للموت، وأكرمَكم أحسنُكم استعداداً له. ألا وإنَّ من علاماتِ العَقْلِ التَّجافى عن دارِ الغرورِ، والإنابةِ إلى دارِ الخلود، والتزوُّدِ لسُكْنَى القُبور، والتاهُّبِ ليومِ النُّشور ».

(أخرجه ابن ماجه، وتقدم من حديث جابر بن عبد الله بلفظ آخر)

فى هذه الخطبة الجامعة - كما قرأنا - يركز النبى ﷺ على عنصرين لا بديل لهما فى طريق الحق تبارك وتعالى، وهما التوبة والعمل الصالح.

---

(١) الكَيْس - بفتح فسكون -: الفطنة والعقل، والمراد، أى: أعقلكم.

وإذا كان لنا أن نقول شيئاً حول هذين العنصرين : فحسبنا أن نذكّر بأنه لا غنى لأحدهما عن الآخر ، بل كلاهما مرتبط بالآخر وشرط أساسى فيه ، ففى القرآن الكريم يقول تبارك وتعالى فى وصف عباده الرحماء الذين يستحقون رحمته ، فى سورة الفرقان :

﴿ وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا (٦٨) يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا (٦٩) إِلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾(١) .

ثم يقول سبحانه وتعالى بعد ذلك :

﴿ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا ﴾(٢) .

وهذا معناه أنه لكى تكون التوبة صادقة ـ: لابد وأن تكون مقترنة بالأعمال الصالحة ، ولابد وأن تكون التوبة هذه قبل الموت ، وإلا فلا معنى لها ؛ لأن التوبة معناها الرجوع إلى الله تبارك وتعالى فى الحياة الأولى بتنفيذ أوامره واجتناب نواهيه . . أما بعد الموت فإنه لن يكون هناك مجال لتنفيذ كل هذا .

---

(١) سورة الفرقان : ٦٨ ـ ٧٠ .

(٢) سورة الفرقان : ٧١ .

وأما عن المبادرة بالأعمال الصالحة؛ فالمراد: المسارعة بالتقرب إلى الله تبارك وتعالى بها قبل أن تنتهى حياة العمل، وقبل أن ننتقل إلى دار الحساب « **فاليومَ عَمَلٌ ولا حِسَاب، وغَداً حِسَابٌ ولا عَمَل** » .

فلنكن إن شاء الله تعالى من التائبين إلى الله تعالى مع المبادرة إلى الله تعالى بالأعمال الصالحة قبل الموت الذى سيأتى حتماً إن عاجلاً وإن آجلاً .

ولنكن من المنفِّذين لكل ما أوصى به الرسول ﷺ فى تلك الخطبة حتى نفوز بتلك النتائج العظيمة التى أشار إليها الرسول ﷺ فى نهايتها .

وذلك هو الفوز العظيم .

* * *